AL-AZHAR UNIVERSITY
BULLETIN OF THE FACULTY
OF
LANGUAGES & TRANSLATION

جامعة الأزهر
مجلة كلية اللغات والترجمة

أدوات تجديد الخطاب الديني

ضوابطه وآثاره

دراسة نقدية تحليلية

إيهاب حفظي عز العرب
كلية اللغات والترجمة
جامعة الأزهر

** البحث جزء من رسالة العالمية (الدكتوراه) بعنوان: تجديد الخطاب الديني ضوابطه وآثاره (دراسة نقدية تحليلية)، للباحث/ إيهاب حفظي عز العرب، تحت إشراف: أ.د/ محمد نور الدين عبد المنعم، أ.د/ محمود يوسف كريت.

أدوات تجديد الخطاب الديني ضوابطه وآثاره– دراسة نقدية تحليلية

إيهاب حفظي عز العرب
قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (شعبة اللغة الأردية)، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
البريد الإلكتروني: ihabhefzy.20@azhar.edu.eg

الملخص:

بدأ الباحث بحثه بالحديث عن ثوابت لا تقبل التجديد وهي نصوص القرآن والسنة والإجماع وعلم الناسخ والمنسوخ/ كما يطالب الباحث بالتجديد في علوم القرآن والسنة والتفسير والفقه والظنيات والعادات والمعاملات وتجديد الفكر الديني ودور العاملين بالدعوة الإسلامية والشروط الواجب توافرها في الداعية وتوحيد الفتاوى الدينية بين القبول والرفض وكيفية الافتاء والاجتهاد في الإسلام والشروط الواجب توافرها في المجتهد وتحفيز العاملين بالدعوة الإسلامية. كما تحدث الباحث عن تجديد الخطاب الديني بين الواقع والمأمول وضوابط الخطاب الديني والتجديد بالدعوة إلى الأخوة الإسلامية وخصائص الخطاب الإسلامي المعاصر وعلاقة المسلمين بغيرهم. كما تحدث الباحث عن أدوات تجديد الخطاب الديني بالتصفية والتربية والمنهجية المعرفية وإسلامية المعرفة وشروط التجديد وضوابطه عند المعاصرين وأنواع الاتجاهات الفكرية.

الكلمات المفتاحية: تجديد الخطاب؛ الدين؛ ضوابط؛ آثار؛ القرآن؛ السنة

Religious Discourse Renewal, Regulations and Effects; An Analytical and Critical Study

Ehab Hefzy Ezz Al Arab
Department of Islamic Studies in Foreign Languages (Urdu Language Branch), Faculty of Languages and Translation, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.
Email: ihabhefzy.20@azhar.edu.eg

Abstract:

The research begins with talking about the non-renewable fixed aspects, namely the texts of the Holy Quran, the Sunnah, the Scholars' consensus, and the abrogater and abrogated texts. Then, the researcher calls for the renewal of the sciences of the Holy Quran, Sunnah, Tafseer (Exegesis of the Holy Quran), Islamic Jurisprudence, Sharia uncertain issues, habits and transactions, in addition to the renewal of the religious thought, the role of those working in the field of Dawah and the conditions to be fulfilled by the preacher. He then sheds the light on the necessity of unifying the religious fatwas either by acceptance or rejection, the manner of fatwas issuance and Ijtihad (reasoning for issuance of Islamic rulings), the conditions to be fulfilled by the Mujtahid (the person who uses his reasoning for issuance of Islamic rulings), and the motivation of those working in the field of Dawah. The researcher then tackles the issue of religious discourse renewal between reality and hope, the regulations of religious discourse, the renewal of Dawah for Islamic fraternity realization, the characteristics of contemporary Islamic discourse and the relation between Muslims and non-Muslims. Then the researcher explains the tools of religious discourse renewal including purification, education, cognitive methodology and Islamization of knowledge. Then, he presents the conditions and regulations of religious discourse renewal set by the contemporary scholars and the types of intellectual trends.

Key words: Renewal of discourse; religion; Regulations; Effects; Qur'an; Sunnah

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإنه يشرفنى أن أكتب عن تجديد الخطاب الديني؛ ضوابطه وآثاره، راجياً من الله تعالى العلى القدير أن يوفقنى لما يحبه ويرضاه، ويكون ما أكتب فيه النفع للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لعل واحداً منّا يوفقه الله تعالى لتحقيق منهجه، وإنفاذ شريعته، وتبليغ دينه للبشر أجمعين.

ونحن في أمس الحاجة لمعرفة أحوال المسلمين لدراسة الإيجابيات، ونحمد الله عليها، والسلبيات لا نجلد أنفسنا من أجلها بل علينا أن نبذل قصارى جهدنا لتداركها، ولا يعنى التجديد تغيير النصوص والمفاهيم الإسلامية الثابتة في العقيدة، والعبادات، وأصول الأحكام، وقواعد المعاملات، وإنما يكون التجديد في المتغيرات والمستجدات، التي لحقت بحياتنا المعاصرة، ولا بد فيها من اجتهاد المجتهدين، وعلينا أن نأخذ بأسباب العلم لنهضة شعوبنا.

إن الإسلام بحاجة إلى المخلصين من أبنائه الذين يتمتعون بذهن صافٍ، وفكر راقٍ، ولهم نفاذ بصيرة، واستقامة فكر، وأهلية للقيادة، وكفاءة للاجتهاد، وقدرة على اكتشاف الصراط المستقيم، والاعتدال بعيداً عن الإفراط والتفريط، والغلو والتنطع في الدين.

إن هدفنا جميعاً هو "إظهار الحق والصواب، وعند مناقشتنا لغيرنا الالتزام بالأسلوب المهذب بعيداً عن التجريح، وإفساح المجال للمناقشة، وتمكين المتحاورين من إبداء وجهات نظرهم بحرية دون مصادرة على رأى"[1].

[1]) محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر)، أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر، 1997م، ص16–31 باختصار.

التجديد بالتصفية والتربية

1- إذا أردنا عودة مجد الإسلام وحضارة المسلمين خالدة الذكر يجب تطبيق العلم النافع والقيام بالعمل الصالح، يجب علينا تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها كالشرك وجحد الصفات الإلهية وتأويلها ورد الأحاديث الصحيحة التي تتعلق بالعقيدة.

2- تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للقرآن والسنة وتحرير العقول من آثار التقليد وظلمات التعصب الأعمى لمذهب فقهي.

3- تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والقصص المنكرة وتربية الناشئة من أبناء المسلمين على المنهج المصفى الصحيح وعلى العلماء المخلصين أن يكونوا كما قال الله: "ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون"[2]، وعلينا أن نقوم بنصرة هذا الدين عملاً بقول الله تعالى: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"[3].

وعلى الدعاة أن يشاركونا في معرفة أسباب سوء الواقع الذي يعيشه المسلمون هذه الأيام، ولماذا بعدنا عن الفهم الصحيح للإسلام؟ ويجب علينا تصحيح العقيدة والعبادة والسلوك دون إفراط أو تفريط ودعوة المسلمين إلى الاعتدال في كل شئون حياتهم، وعدم إغراقهم بأخبار السياسة والقتل والدمار والتخريب وتحليلات مفكري الغرب، وعلينا تصفية الإسلام مما علق به من شوائب وربط المسلمين بما تم تنقيته من كتب التراث فهل نبدأ؟ ونكون متسامحين مع بعضنا معشر المسلمين ممتثلين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم كمثلُ الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الأعضاء بالسَّهَرِ والحُمَّى"[4]، وعلينا أن نسير على السياسة الشرعية ورعاية شئون الأمة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة وعلينا الدعاء لحكام المسلمين أن يصلح الله شأنهم وأن يوفقهم لما يحبه تعالى

[2]) سورة آل عمران، الآية 79.

[3]) سورة محمد، الآية 7.

[4]) البخاري، الصحيح، ج1، ص182، رقم الحديث: 467. وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وإنهما على حق، رقم 6538، وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 1083.

ويرضاه لهم وعلى حكام المسلمين أن يحكموا بالعدل ويأمروا بالصدق "لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"[5].

إن يقظة الوعي القومي في تاريخ الأمم والشعوب لا تقوم على النهضة العلمية والعدالة الاجتماعية، وإنما تقوم على أساس أخلاقي وديني يكون فيه الأساس الحضاري والثقافي المحرك للوعي الوطني القومي، والصبغة الدينية لا تتعارض مع ما تقدمه النهضة العلمية من أفكار، إلا إذا تعارضت مع الشريعة والتوجيه الأول للدين يهدف إلى توحيد المجتمع، وطاعة الأفراد له واحترامهم للأسلوب الذي اتبعه الدين في تقنين العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وعلى الشباب أن يفهم الارتباط الوثيق بين الدين واتحاد أبناء المجتمع والدين يطالبنا بالتواصل مع البشرية كلها، وجوهر الإسلام قائم على التوحيد الذي يعلم الإنسان المسلم أن له كرامة وصدق الله: "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**"[6].

أدوات تجديد الخطاب الديني بالمنهجية والمعرفة

المنهجية: "هي تطبيق المنظور العلمي في دراسة الظواهر والحوادث وهي الوسيلة التي نعين بها طريقة البحث وتبرهن عن مدى ملائمة هذه الطريقة لدراسة الظاهرة وتحصيل المعرفة حولها"[7].

والمنهجية لها صلة وثيقة بين النظم العلمية والمبادئ الأساسية للمنظور العلمي العام وعلى الباحثين تحديد الطريقة المناسبة لتناول الظاهرة ومعالجتها من التصور إلى التطبيق.

أهمية المنهجية باعتبارها أداة فكر وتفكير وتنظيم وأداة عمل وتطبيق وأداة تخطيط وأداة فن وإبداع.

ظاهرة المعرفة: "هي محاولة الإنسان لفهم الظواهر ورغبة الإنسان في تكوين فكرة واضحة عما يحيط به من وقائع وأحداث وكيفية السيطرة عليها والتحكم في حدوثها لاستمرار عملية التفكير مما أدى إلى تراكم المعارف على مر العصور"[8].

---

[5]) الإمام السيوطى، الدر المنثور، ج4، ص99.

[6]) سورة الإسراء، الآية 70.

[7]) بن رقية، محاضرات المنهجية، مجلة كلية الحقوق، الجزائر، 2008م، ص3.

8) المرجع السابق، ص3.

الأساليب المنهجية للمعرفة

تصنف المعرفة حسب طبيعتها وعلاقتها بالسياق الاجتماعي إلى:

1- المعرفة التجريبية المباشرة: هي ملاحظة الظاهرة على مستوى الإدراك الحسي وقد لجأت البشرية لهذا النوع من المعرفة لتحديد معاني المواقف والأحداث وبتراكمها تكونت للإنسان خبرات معينة مكنته من الاستفادة منها في حياته اليومية، إلا أنها لم تفسر الظواهر المحيطة به مما أدى إلى ظهور بعض الآراء الحسية المشتركة بين الناس تتمتع بالبداهة ولا تعتمد على الأسلوب العلمي عند تحصيلها رغم تميزها بالإجماع.

2- المعرفة الفلسفية: هي مرحلة متقدمة من المعرفة تتناول مسائل تعالج العقل وحده، وتعتمد على منهج اليونانيين (التأمل الفلسفي والعقلي) ومنهج فلاسفة الهند (التأمل الذاتي) ومنهج اليونانيين الذي انتهى عند أرسطو إلى القياس المنطقي وقد كمل القياس الصوري الذي يعتمد على مقدمات عامة وكلية للاستدلال على التعرف على الجزئيات.

3- المعرفة العلمية: تعتمد على الاستقراء من الجزئيات للوصول إلى الكليات وهي تقيم أحكامها على أساس الاستدلال الاستقرائي التام لتلخيص الأحكام والاستقراء الناقص يقوم فيه الباحث بدراسة بعض النماذج ثم يحاول الكشف عن القوانين العامة التي تخضع لها الحالات المتشابهة[9].

قضية الحداثة والتراث

الحداثة: "في اللغة العربية لفظ حداثة مشتق من الفعل الثلاثي حدث, بمعني وقع, وحدث الشيء, يحدث حدوثاً, وحداثة, فهو محدث وحديث, وحدث الأمر أي وقع وحصل, وأحدث الشيء أوجده, والمحدث هو الجديد من الأشياء"[10].

[9]) بن رقية، محاضرات المنهجية، ص4.

[10]) ابن منظور، لسان العرب، دار صار، بيروت، ج2، ص131.

"ومن الفعل حدث تشتق ألفاظ دلالة على معاني اللسان في الحديث, فتحدث حديثاً أي تكلم كلاماً, وكذلك لفظ الحدوث في الوجود, فالحدوث من حدث يحدث حدوثاً, أي وقع في إطار زماني ومكاني معينين, سواء بصورة متوقعة أو مفاجئة, ومن هذا تصبح الحداثة مساوية للواقعة"[11].

"ولفظ الحداثة يشير إلي فعل الابتداع, أي ظهور شيء مستجد وغير مألوف, لم يكن للأوائل عهد به, ومحدثات الأمور هي ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان أهل السلف الصالح على غيرها, وقد جاء في الحديث "إياكم ومحدثات الأمور, فكل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة, وكل ضلالة في النار"[12], والمحدثة هي ما لم يكن معروفاً في كتاب الله, ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا في إجماع الصحابة"[13].

"ويشير لفظ الحديث إلي البداية, والابتداء أي أول الشئ, كأن تقول حداثة الأمر أي ابتداءه, ويقال إنسان حديث السن أي أنه في أول عمره, ويقال حديث شبابه, وحدثان شبابه كلها بمعني واحد"[14].

والحداثة تعني "بث الحيوية في التاريخ, إنها الحركة والانفجار والانطلاق"[15], فهي تعني الإبداع والتجديد والابتكار, ورفض الجمود والتقليد, وهناك من يري أن: "الحداثة هي وعي الزمن بوصفة حركة تغير"[16], وهي تعني التغيير بوصفه حركة تقدم إلي الأمام, وانفصام عن الماضي, فالحداثة مصطلح يجسد كل ما هو حديث, ثم تطور المصطلح ليحمل بعداً زمنياً من خلال عملية التراكم التاريخي.

---

[11]) على رحومة، التراث والحداثة، ص14.

12) مسند الإمام أحمد، حديث العرباض بن سارية عن النبي، رقم: 16817. ورواه الترمذي، ج15، ص44، رقم الحديث: 2676.

[13]) بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس معلول اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م، ص79.

14) ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص132.

[15]) على رحومة سحبون، إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر، ص30.

[16]) المرجع السابق، ص31.

الحداثة النقدية للتراث

ازدادت المجالات التي يستعمل فيها لفظ الحداثة الذي ارتبط بالفكر والسياسة, والاقتصاد, والثقافة, والاجتماع, ومختلف نواحي الحياة, فالحداثة تعمل على إحداث تغيير داخل المجتمع معلنة القطيعة مع القديم, متجاوزة جميع مظاهر التقليد, وهناك من يري أن الحداثة "ظاهرة تاريخية مشروطة بظروفها, محدودة بحدود جمالية ترسمها الصيرورة على خط التطور"[17], وهناك من يري أن الحداثة قد تعني التجديد, وإتباع أساليب العصر, وليست بالضرورة تعني الغرب, وإنما تعني: "قدرة التراث على الاعتماد على ظروف العصر"[18].

والحداثة هي رؤية شاملة للحياة, تحدد موقفها من حقائق الأشياء في الحياة المعاصرة, شكلاً ومضموناً, وتعطي انطباعاً عن اختلاف التجربة التي يعيشها الإنسان المعاصر, والظروف المحيطة به, عن معاناة الإنسان القديم قبله, إنها ثورة على القديم, وإلغائه, متجهة صوب التجديد والتحديث في شتي مجالات الحياة, وهي حركة فكرية حديثة وشاملة, تقدم رؤية جديدة لكل ما يدور في العالم من حولنا.

اتجهت في البداية إلى مقاطعة التراث العربي، والإيمان بمسلمات المنجز الحداثي للغرب، وتبنيه بوصفه مشروع تحديث وتطوير لواقع الحضارة الغربية المعاصرة، ثم اتجهت إلى قراءة التراث العربي والتمسك به، والدعوة إلى بعث التراث من جديد، والأخذ من الماضي والحاضر، والتوازن بينهما بانسجام تام، وهذا يتضح لدي أصحاب التراث والمعاصرة والأصالة والمعاصرة، وتحديث التراث وتجديده، والقراءت الحديثة للتراث العربي[19].

<u>التجديد بإعادة قراءة التراث الإسلامي:</u>

إننا بحاجة إلى دراسة وفهم تراثنا الإسلامي وقراءته بطريقة نقدية تحليلية معرفية لنخرج من الدائرة التي يريدها لنا البعض وهي الرفض المطلق أو القبول التام أو الانتقاء العشوائي، ولا يمكن أن نقبل بالقطيعة مع تراثنا وعلمائنا القدامى، ولا نقول كما يقول البعض منا أن التراث معيق لنا ومعطل ومعرقل لحاضرنا، ومصادر على مستقبلنا، وللخروج من هذا كله علينا أن

[17]) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص18.

[18]) حسن حنفي وآخر، حوار المشرق والمغرب، بيروت، ط1، 1990م، ص17.

[19]) أحمد رحيم كريم الخفاجي، التراث النقدي العربي والتقويل الحداثي المعاصر، أطروحة دكتوراه مقدمة إلي قسم اللغة العربية كلية التربية، جامعة بابل بالعراق، ديسمبر 2009م، ص8 بتصرف.

نعيد قراءة التراث وفق منهجية معرفية سليمة، تساعدنا على الخروج من المأزق، الذي وضعه البعض امامنا وتحكيم النظام المعرفي الإسلامي والمنهجية المعرفية مع الأخذ في الاعتبار الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم على تراثنا وما يمكن الاستفادة به من هذه المنهجية لفهم الظواهر المعاصرة مع علمنا التام أن التراث فكر نسبي مقيد ومحدد بحدود الزمان والمكان، الذي وجد فيه، وتراثنا ينطلق من نصوص الوحي التي تتجاوز الزمان والمكان مما يجعل نسبة الحقيقة فيه أكبر بكثير من الفكر المنفصل عن نصوص الوحي.

"لذلك يجب وضع التراث في موضعه النسبي حيث أنه لا يعدو أن يكون أفكاراً ومعالجات وتفسيرات لواقع متغير يجب أن نبحث عن تحقيق أهداف محددة من وراء فهمه وإعادة اكتشافه تتمثل جملة في تحقيق التواصل والتراكم ومعرفة المنهج والأنساق المعرفية، التي سادته والاستفادة من الأفكار والأفهام الصالحة فيه لزماننا ومكاننا"[20].

إننا وجدنا أنفسنا أمام وضع عالمي يعمل على توظيف المعارف والعلوم والاكتشافات الحديثة ومنجزاتها توظيفاً يفهم العلاقة بين الخالق والكون والإنسان؛ حيث جاء على لسانهم في القرآن العظيم: "**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**"[21].

مما أدى إلى ظهور تصورات إنسانية حول الوجود كله بعضها يناقض تصوراتنا الإسلامية عنه وليس مطلوباً منا أن ننتقي من مقولاتنا الدينية ما يتوافق مع هذه التصورات، وليس مطلوباً منا أن ندفع أصحاب هذه الأقوال بالكفر، أو نقتدي بهم في أقوالهم وسلوكياتهم. نحن نواجه فكراً عقلياً وضعياً مجرداً، فلابد أن نعيد هذه الانحرافات، التي أسندت إلى العلم، ونطهره منها متسلحين بالعلم التطبيقي المعاصر؛ لنتجاوز هذه المذهبيات الوضعية التقليدية وننشر هداية البشر عن طريق استرجاع العلم من هذه الاتجاهات المنحرفة وإعادة ضبطه مرة أخرى عن طريق إسلامية المعرفة تجاه العلوم الكونية.

[20]) إسلامية المعرفة، ص289.

[21]) سورة الجاثية، الآية 24.

إسلامية المعرفة

قضية إسلامية المعرفة ليست ترفاً نظرياً أو مصطلحات فلسفية بل المطلوب منها أن تقدم البديل الحضاري العالمي الذي يستهدف إنقاذ البشرية كلها وليس المسلمين وحدهم ببحوث ودراسات قرآنية مميزة تجري ضمن فهم جديد ومن منظور علمي وعالمي.

كلنا يعرف أنه يستحيل تأسيس إسلامية المعرفة بدون فهم القرآن منهجياً، ضمن وحدته البنائية الكاملة. وهذا يماثل فهمنا المعاصر لظواهر الكون وحركتها في وحدتها العضوية.

إن العقل العلمي المعاصر يعلن رفضه لكتب الدين وقد يتسامح مع بعض موضوعاتها التي تهمه ويعلن أنه يرفض منهجيتها ووحدتها البنائية لأنها في نظره لا تتجاوز قناعات البعض الإيمانية وغيبيات ما وراء الطبيعة لهذا فهي مرفوضة لأنها تقبل التزييف أو التلفيق وكل ما تشير إليه الكتب السماوية عن كائنات غير مرئية وأخبار الماضين والقصص التاريخية الدينية مناقضة للتاريخ الوضعي ومرفوضة لدى علماء العلم الموضوعي المعاصر طبقاً لفهمهم السائد له.

وهذا الفهم الخاطئ جاء نتيجة لقراءة الكون في إطار الفكر الوضعي ومقولاته حول الوجود واعتمد على تفكيك الظاهرة وتجزئتها بمنطق الجدل العلمي المعاصر واحتمالاتها النسبية، وإذا أراد علماء الغرب الخروج من أزمتهم الفكرية والحضارية نقول لهم أنهم بحاجة لإدراك البعد الكوني بمعناه الغيبي في تركيب الوجود ومصيره، وتعلم إسلامية المعرفية ليعم الخير والرشد ويسود الحق وينتشر الهدى، وإعادة العلم إلى دائرة القيم الأخلاقية مع وضع الضوابط اللازمة لربط العلم بالحقيقة بعيداً عن اتباع الأهواء، والبحث عن الحق والحقيقة والواقع المعيش بعيداً عن الانتماءات المذهبية والدينية.

إننا ندعو العلماء لاستنفار ثقافي إسلامي عالمي لبناء حضارة الإنسان وعمارة الأرض وتحقيق السعادة لكل البشر وإنقاذ الإنسانية من الحروب والدمار والخراب، وبناء الأمة الإسلامية ونشر الوسطية والاعتدال أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بربها وبحق البشر في الحياة والحرية الدينية والمواطنة فالوطن لنا جميعاً وأصل الدين واحد وإن تنوعت الشرائع وفي الحديث: "الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأنّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير،

ويضع الجزية، ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأُسْد جميعاً، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً، فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يُتوفى، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه"[22]، وصدق الله: "**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**"[23].

هي الجانب الفكري المعرفي من الإسلام بمعناه الشمولي الذي بدأت إصداراته، بقوله تعالى: "**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ () خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ () اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ () الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ () عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**"[24].

ويذكرنا ربنا بقوله تعالى: "**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**"[25].

ويرشدنا بقوله تعالى: "**الرَّحْمَنُ () عَلَّمَ القُرْآنَ () خَلَقَ الإِنسَانَ () عَلَّمَهُ البَيَانَ**"[26].

فالقرآن الكريم هو كتاب الله المستور، الذي فيه تفصيل لكل شيء، لقوله تعالى: "**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**"[27].

والكون كتاب الله المنظور، الذي خلقه، وجعل الإنسان خليفته في الأرض لعمارتها، وإيجاد المعرفة الحضارية، التي تدون وتسطر، ويجري تناقلها ليتمكن الإنسان من فهمها والإفصاح عنها، لتتداول بين الأمم حتى يتمكن الإنسان من أداء الأمانة، والدخول في السلم كافة، والاعتراف بنعم الله عليه، لقوله تعالى: "**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**"[28].

22) مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، رقم: 9502.

23) سورة آل عمران، الآية 110.

24) سورة العلق، الآيات من 1– 5.

25) سورة القلم، الآيتان 1– 2.

26) سورة الرحمن، الآية 1– 3.

27) سورة الأنعام، الآية 38.

28) سورة النحل، الآية 18.

لتشرق الأرض بنور ربها طبقاً لهدايته سبحانه، وإعلاء دين الإسلام، لتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، وصدق الله: "**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ**"[29]. "**وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا**"[30].

"لابد لنا من الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الوجود والدمج بينهما، لئلا يقع الإنسان في أي من الطرفين الذميمين، ومن هنا كانت إسلامية المعرفة ضرورة معرفية وضرورة حضارية، للخروج من المأزق المعرفي المعاصر والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة"[31].

نحن شركاء في أزمة الفكر العالمية بحكم خضوعنا للهيمنة الغربية، التي نجحت في خلال غزوها الفكري والثقافي، أن تفرض علينا منهجها ووعيها العلمي للوجود، ولحركة الكون ورؤيتها للتاريخ والعلم والمعرفة والحضارة والثقافة والتقدم.

إننا بحاجة إلى البحث المنهجي لاكتشاف عطاء القرآن وهو الوحي المقروء والكون البديع المنظور، الذي يتضمن جميع ظواهر الوجود، فالقرآن العظيم والكون كلاهما يدل على الآخر ويقود إليه.

والجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون، لفهم ما يدور حولنا من سنن الله في الكون واكتشافه، لنفهم من خلاله آيات القرآن، "وغاية قراءة الوحي التنزل من الكلي إلى الجزئي، والربط بين المطلق والنسبي بقدر ما تتيحه قدرات البشر العقلية النسبية في فهم تنزلات الكلي، وربطه بالواقع المتغير الجزئي"[32] في محاولة منّا للقضاء على الانفصام بين الوحي والمعرفة الموضوعية للكون والوجود.

وإذا حدث فصل بين القراءتين فإن مناهج المعرفة البشرية، قد تصل إلى نتيجة خاطئة مفادها، أن من يقرأ القرآن وحده يسقط الجانب الموضوعي، الذي يرتبط بالواقع من حسابهم، وهؤلاء يجعلون الدين يستلب من الإنسان والكون معاً، وينبغي الأخذ بالأسباب وقوانين الحركة وصيرورتها، ويهمل السنن الاجتماعية والتاريخية والنفسية والاقتصادية، التي يتفاعل معها

29) سورة الزمر، الآية 69.

30) سورة التوبة، الآية 40.

31) جمال الدين عطية، إسلامية المعرفة، استراسبورج، 21/ 7/ 1988م، ص274.

32) جمال الدين عطية، إسلامية المعرفة، ص275– 276.

الإنسان، فينتهي هؤلاء إلى فكر جامد، يلغي عوامل الزمن من حسابه، ويهمل التاريخ وقد يحسب على الذين ما ليس منه.

ومن يقرأ الكون وحده ينفي الوجود الغيبي للخالق سبحانه الفاعل المدبر المسيطر على الوجود كله وحركته، وفكرهم هذا يؤثر في الفكر الوضعي في المعرفة، والذي يؤثر بدوره في النسق الحضاري.

إن البشرية اليوم تعاني من هذا الفصل في المناهج التربوية والنظم التعليمية بين علوم الدين والعلوم الكونية، إن البعض يريد فصل الدين وقيمه بعيداً عن المعرفة ومعطياتها، وهو ما يروج له البعض في التباعد بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وربطت بين النص والمعجم اللغوي متجاهلة البيئية الطبيعية، ومعطيات الزمان والمكان وطبائع البشر، وأثر ذلك في فهم النصوص الشرعية.

إننا بحاجة إلى "فهم النصوص الشرعية فهماً معرفياً تتضح من خلاله الأبعاد المنهجية والمعرفية لقواعد العقائد وارتباط الأحكام بالقيم والمصالح بموازنة دقيقة، يصحب أن تفهم وتتضح أبعادها بغير الجمع بين قراءة الوحي والكون قراءة معرفية منهجية"[33].

إن ثقافة الغرب صاغت العلوم الإنسانية والاجتماعية بأفكار وضعية بعيداً عن قيم الوحي، وقادت البشرية إلى الصراع بين الدين والمجتمع، وضخمت حب الذات على حساب القيم الدينية والأخلاقية، وأفرزت الفردية والأنانية ونشرت الصراعات القوية والاجتماعية.

إن علاقة المنهجية بين الوحي والكون هي علاقة تداخل وتكامل منهجي تكشف عن استيعاب منهجية القرآن العظيم للكون وسننه، وقوانين حركته هذه المعرفة، تساعد على فهم واكتشاف قواعد منهجية القرآن المعرفية، وتساعد على فهم نظم القرآن المعجز القديم المتسق مع التركيب الإلهي العجيب للكون وللإنسان المستخلف فيه.

هذه المهمة لا يقوم بها إلا من أوتي القرآن العظيم، وحظا وافراً من العلوم والمعارف الاجتماعية والإنسانية المعاصرة.

علينا أن نعيد بناء النظام المعرفي الإسلامي وتفعيل قواعد العقيدة معرفياً وتحويلها إلى طاعة معرفية مبدعة تقدم إجابات شافية عن الأسئلة الكلية من خلال الفهم المعرفي لقواعد

33) جمال الدين عطية، إسلامية المعرفة، ص278.

الإيمان والتركيز على الأبعاد المنهجية اتساقًا مع مقاصد الشرع وخصائص رسالة الإسلام التي تمثل الأساس للنسق الحضاري والمعرفي الذي ينشده الإسلام لبناء رؤية إسلامية للغيب والكون والإنسان والحياة والإيمان والعقيدة الإسلامية وكشف النماذج المعرفية التي سادت تاريخ الإسلام ومدارسه الفكرية والفقهية في مختلف العصور وذلك للربط بين الأنساق المعرفية وبين الإنتاج الفكري الذي وجد في تلك العصور لتحديد مدى الاستقامة والفعالية والتجديد والشمول في ذلك الإنتاج وتحديد العلاقة بين الأزمة الفكرية التي عاشتها الأمة وبين الأنساق التي سادت في تلك الفترات وتحديد مدى أثر الأنساق المعرفية في تدهور الفكر وتطوره والاستفادة من النماذج المعرفية التي سادت التراث والنماذج المعرفية التي طورها الفكر الغربي الانساني المعاصر.

فقه الشرع وفقه الواقع

علينا أن نوازن بين المصالح بعضها وبعض وبين المفاسد، وعلينا أن نعرف متي نقدم درء المفسدة على جلب المصلحة، ومتي نعفو عن مفسدة من أجل المصلحة.

نحن بحاجة إلي فقه شرعي يقوم على فهم عميق لنصوص الشرع ومقاصده، ومعلوم أن الشرع جاء لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

الحاجة إلي فقه الواقع: فقه واقعي مبني على دراسة الواقع المعيشي دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع، معتمدة على أصح المعلومات، وأدق البيانات والإحصاءات. مع التحذير من البيانات الناقصة وغير المستوفية والمعلومات الخاطئة.

وعلى الداعية حسن القصد وتحري الحق وتقوى الله في السر والعلانية ويقطع شهوة إتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى.

وأن يفهم الواقع الذي يعيشه ويتفقه فيه ويستنبط الحقيقة بالقرائن والأمارات حتى يحيط بواقعه علماً أن يفهم ما أوجبه الله عليه وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه وجاء على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يطبق أحدهما على الآخر فمن بذل جهده واستفرغ وسعه لم يعدم أجره، والعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله.

نتائج البحث

- النصوص قطعية الدلالة والثبوت من القرآن والسنة لا تقبل التغيير.
- التجديد يعني تعديل مفاهيمنا الإسلامية وفكرنا الإسلامي، وإعادة بنائه من جديد ليقاوم الأفكار الدخيلة، التي جاءتنا من الغرب، وفكرة التجديد فيها خطر على أفكار المستشرقين، الذين يروجون الأكاذيب حول ديننا، وأنهم يعلمون جيداً أن التجديد يعيد المسلمين إلى سابق وحدتهم وتماسكهم، والعمل بتعاليم القرآن والسنة، وتعلم بساطة الحياة الإسلامية التي كان يعيشها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام.
- لقد خُدعنا بأفكار المستشرقين الذين قالوا لنا أن الإسلام يتطور ويضيف جديداً إلى مبادئه عبر العصور، ثم ادعوا كذباً أن الإسلام هو سبب فشل أتباعه لمسايرة المدنية الحديثة وروح العصر والجمود والتخلف، وواقع المسلمين الهزيل ورثوه بتمسكهم الشديد بالإسلام، ونصحونا أن التطور هو قانون الحياة الذي لا مفر من الخضوع له، وعلى المسلمين التجديد في أمور دينهم، حتى يسايروا ركب التقدم الغربي بعيداً عن التخلف والفساد.
- إننا لا نريد أن نتغير طبقاً لأهواء أعدائنا، ونتلون تبعاً للحياة من حولنا، ولا نريد تجديداً يؤدي بنا إلى ترك تعاليم ديننا، ويسير مع شطحات العقل.
- إن التجديد للخطاب والفكر والدين الإسلامي لابد أن يقدم من أصحاب فكر راقٍ، لهم نفاذ بصيرة واستقامة عقل، يتميزون بأهلية للقيادة وكفاءة للاجتهاد، وقدرة على تبيين الطريق المستقيم والاعتدال بعيداً عن الإفراط والتفريط.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد رحيم كريم الخفاجي، التراث النقدي العربي والتقويل الحداثي المعاصر، أطروحة دكتوراه مقدمة إلي قسم اللغة العربية كلية التربية، جامعة بابل بالعراق، ديسمبر 2009م.
- أحمد عبد الرحيم السايح، الخطاب الديني والواقع المعاصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد 128، القاهرة، 1426هـ/2005م.
- أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، ط1، 1981م.
- أحمد عمر هاشم، الخطاب الديني وتكوين الداعية، ندوة تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف؟
- أحمد كمال أبو المجد، الخطاب الديني وصلته بالواقع المعاش. ورقة بحثية للندوة السابقة.
- أدونيس على أحمد سعيد، الثابت والمتحول، ج2، تأصيل الأصول، بيروت، ط2، 1982م.
- إسماعيل بن عمر بن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، تحقيق: دكتور/ عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1401هـ/ 1981م.
- بدر الدين بن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق د/ فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، المحاكم الشرعية، قطر، 1405هـ/ 1985م.
- برهان الدين على بن أبي بكر الميرغيناني، كتاب الهداية، المجلد الثاني، دار السلام، طبعة 2000م.
- توفيق علي وهبة، الجهاد في الإسلام، دار اللواء 1397هـ/ 1977م.
- جابر قميحي، آثار التبشير والاستشراق علي الشباب المسلم، سلسة دعاة الحق، السنة العاشرة، العدد 1066، إصدار رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة 1417هـ.
- جعفر عبد السلام، الإسلام وتطوير الخطاب الديني، ط1، 1423هـ.